مأساة الإنسان في الحياة المعاصرة

إن العلاقة المتبادلة بين الفرد والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه عامل جوهري في تحديد السلامة النفسية للإنسان، ومع أهمية بنية الفرد المتميزة وخصائصه الوراثية، ونمط طبعه وشخصيته، إلا أن طبيعة المنهج السائد تتفاعل مع شخصيته، والعوامل البيئية تترك آثاراً واضحة على مشاعره، وتنعكس سلباً وإيجاباً على خطوطه النفسية.

ولحركة الفرد تأثير في مجرى الأحداث إذا تضافرت مع غيرها، وصبت في الإطار الجماعي، وسارت في الاتجاه المرسوم.

إن الخطوط النفسية للإنسان ـ وإن كانت فطرية ـ فهي بحاجة إلى تنمية وتشذيب. وإذا لم يُنَشَّأ الفرد تنشئة سليمة منذ طفولته، ولم يُتعهد بالتوجيه المناسب المستمرالذي يقوّم الاستعداد الشخصي للانحراف في النفس الأمارة بالسوء، ولم يُتابع بالرعاية الأولية الشاملة التي تعالج التربة المهيأة للعلل النفسية والأمراض النفسية الجسدية، وإذا لم يحظ بالتربية التي تدعم ارتباطه الوثيق بأصالته الفطرية، تنزلق قدمه لأدنى سبب، وتنهار دفاعاته عند مواجهة أصغر عقبة، وتنقص مناعته تجاه العوامل الممرضة، وتضعف مقاومته للمؤثرات الخارجية التي قد يتعرض لها في مسيرة حياته المقبلة، وتتعمق فيه الأمراض الوراثية المتعددة العوامل، ويصبح عرضة لفقدان التوازن والانحراف، والانجراف مع التيار المعاكس للفطرة التي ولدعليها.

إن تأثيرات الحضارة المادية على الحياة المعاصرة متعددة الجوانب والظواهر، وهي تبدو جلية للعيان في كل مكان طغت فيه، وتأثيراتها على الإنسان المعاصر تشمل كيانه كله وجميع عناصره. وإن حالته المحزنة تدعو إلى الشفقة والرثاء، ووضعه المزري ينذر بالخطر والثبور لما أصابه من مآس ونكبات، وما يعانيه من أمراض وقلق وحيرة وشقاء وخواء وتناقضات.

فكيف تأتى للإنسان أن يعاني المآسي والنكبات، على الرغم من بريق المادي، والكشوف العلمية، والتسهيلات المادية، والأنظمة الآلية والحاسبات

الإلكترونية، والإنجازات الطبية، والناطحات المعمارية؟

وما حصيلة هذا (الكم الهائل) على الإنسان ومردوده على صحته النفسية، وعلاقاته الأسرية والاجتماعية؟

وكيف يحيى هذا (المسكين) ساكن الأعصاب، مطمئن النفس، هادىء البال، آمن السرب، وقد أحاطت به هذه الحجب المادية الكثيفة الداكنة، الفائقة الصنع والتنظيم، ولكنها مقفرة من نافذة نور، أورفرفة روح، أو إشراقة أمل، أوسمو نفس، أوصلة رحم، أو بسمة صدق، أونسمة عطف، أوبرد يقين، أو فيض حنان، أوحلاوة إيمان، أولذة إحسان؟.

وكيف يحيى وهو يسمع ويرى ذلك السباق البغيض في إنتاج أرقى أنواع الأسلحة التدميرية ؟

وكيف يحيى وفي هاجسه اليومي حريق تخريبي، أواشتعال رأس نووي، أوانتشار تلوث بيئي، أوانفجار صاروخ قاري، ولو بطريق الخطأ؟

وما بالك بمعاناة هذا الإنسان (الآخر) الذي تجرب فيه هذه الفنون القبيحة من وسائل الرعب والتدمير، وتمارس ضده كل ألوان الظلم والتقتيل النفسي والجسمي ؟.

وإذا سبرت أغوار حياة الناس هناك، ترى جموعاً منهم لايشعرون بالراحة رغم توافر كل أسباب الراحة المادية: فالعامل والموظف يقضي حياته وهو يكرر الإشارات والحركات نفسها كل يوم، وقد امتلأت حياته بالسآمة والضجر، وحوله كل وسائل الترفيه والمتعة .

وترى الشباب وكأنه مطارد هارب من قسورة، كمن أصابه مس، لا يدري ماذا جرى له، ولا يشعر بالسعادة والاطمئنان، يفقد شيئاً ولايجهد نفسه بالبحث عنه، فيهيم على وجهه محاولاً الفرار من قلقه بشتى الوسائل، فيتخذ مذاهب وأفكاراً سوداء، ويجادل فيها ويدافع عنها ويبررها لنفسه، وقد ينقلها لغيره، ويلهث وراء اللذة القريبة من أي طريق، ويلجأ إلى الخمور والمخدرات والرذيلة. . . لكي يهرب من واقعه المر وحياته البائسة، هدفه الحصول على المال لكي ينفقه في نوادي الفجور، وعلى موائد الخمر، و في أوكار المخدرات، وحلبات الرقص، ومكائن الميسر، وحفلات المجون،

وعلب الليل، وعربدة نهاية الأسبوع، دون أدنى اهتمام بالعواقب أو المسؤولية، ويضحي بوقته وماله ليسهر على إحياء الحفلات، ويسمع رغاء الأغنيات وهذر الناعقين، ويشاهد غثاء الأفلام والمسلسلات، وقد يقطع القوت عن عياله ليحظى بتذكرة دخول إلى مسارح التهريج وعروض الساقطات.

وكذلك الفتاة التي أصاخت سمعها للأبواق التي تنهق ليل نهار لكي تخدعها، وتستغل حاجتها وضعفها، وتزين لها الخروج إلى مزاحمة الرجال، وبؤر الحرام، تنغمس في المستنقعات، وتدنس بالأقذار، ويمرغ عرضها في الأوحال، ويُنقص حقها وأجرها، وتسلب سعادتها وكرامتها، وتحرم من وظيفتها الأساسية، وتشقى بالأعمال التي تنافي فطرتها ووظيفتها وتكوينها، وتقدم للدعاية الرخيصة المذلة في معارض السيارات والأدوات والمنتجات، وعلى صفحات الجرائد والمجلات والإعلانات وواجهات المحلات وعلب المأكولات والمستهلكات والنفايات، وصناعة الأزياء والملابس و(الموديلات).

وبعد الولوغ في الآثام، قد تصحو على واقعها الأليم، وقد لاتصحو، فتبقى سادرة في سبات الأحلام والمخدرات والرذيلة، وتقع ضحية للإباحية.

ولقد أخذ بعضهن يبحثن عن الطريق الذي يحقق وجودهن ووظيفتهن في الحياة، ويركضن وراء سعادتهن الضائعة، وقد مللن عيشة الابتذال والاستغلال، والحياة التي يسيطر عليها الفكر المادي، والآلية الصماء، واللذة العمياء.

ولقد ألحقت ديدان وحشرات (الحضارة) المادية، وجراثيم وطفيليات الفوضى الجنسية آفات اجتماعية خطيرة، وأمراض سارية فتاكة، بشجرة النسب الممتدة الطبيعية، وبذور بني الإنسان الأصيلة المحمية، وحولت النسل إلى شكل هجين غريب لا يعرف له أصل، ولامصدر، ولاطعم، ولالون. وقلبت الذراري إلى خليط عجيب (خبيص)، لا يفصل المحارم بالنكاح عن غيرهم، ولا يميز بين التلقيح الصناعي المشروع وغير المشروع.

وقطّعت شجرة الحياة البشرية، النابضة بماء دافق، إلى مجموعة أغصان وأعجاز متشابكة سائبة، مجهولة التركيب، نكرة الانتماء، معلقة في الهواء.

ولنصغ إلى القاضية . . بريجيدا أولف هامر . . تقول:

. . وهذا السبب في أن الأنساب في السويد أصبحت أحياناً (سمك، لبن، تمر هندي)، ثم هذا هو السبب في أن المرأة السويدية اكتشفت فجأة أنها اشترت وهماً هائلاً بثمن مفزع هو سعادتها الحقيقية، ولهذا فهي تستقبل العام العالمي لحقوق المرأة بفتور مهذب، وتحن إلى حياة الاستقرار العائلية المتوازنة جنسياً وعاطفياً ونفسياً، فهي تريد أن تتنازل عن معظم حريتها في سبيل كل سعادتها .

وتتابع قولها: لقد أباح القانون السويدي الحرية الجنسية للمرأة إلى أقصى حد، لدرجة جعلت الرجل هو الفريسة، والمرأة هي الصياد، فكانت النتيجة على مستوى الأمة مذهلة حقاً، ففي تقرير رسمي خطير لوزارة الشؤون الاجتماعية السويدية، تعلن فيه الحكومة أن ٥٣ ٪ من مجموع سكان السويد مصابون بأمراض عصبية ونفسية، وأن٣٠٪ من مجموع المصروفات الطبية في السويد تنفق في علاج الأمراض العصبية والنفسية، وأن ٤٠٪ من مجموع الأشخاص يحالون إلى التقاعد ـ قبل سن المعاش ـ بسبب العجز عن العمل، هم من المرضى المصابين عقلياً، وتسفرظاهرة انتشارالأمراض العصبية والنفسية عن نفسها على هيئة ارتفاع مذهل في نسبة حوادث الانتحار.[1]

وقد أعلنت الممثلة (كليوغولد سميث) في تصريح لها: إن نجاحي في السينما ليس هوحلمي في الحياة، بل إن أهم حلم في حياتي أن أنجح كأم لابنتي التي تبلغ من العمر ثلاث سنوات، إن الأمومة أهم كثيراً من النجاح في السينما، وهي أهم مايشغلني.

وقد عثرعلى جثة الدكتور (فرانك جوان) الذي اكتشف لقاح شلل الأطفال بجوار زوجته (أليس) منتحرين في منزلهما بولاية فلوريدا الأمريكية.

وقال نابليون بونابرت حين كان في منفاه في جزيرة (سانت هيلانة)، وبعد أن حصل على ما كان يحلم به من زعامة وعشيقات وشهرة وسيطرة: إنني لم أهنأ في حياتي سوى ستة أيام.

---

(١) مجلة الأسبوع العربي ، العدد:(٨٢٠)

وإذا كانت الفتاة تبحث عن سعادتها في متاهات التمثيل والظهور والابتذال والشهرة، فلنستمع إلى نصيحة فتاة مثلها وصلت إلى أقصى ما تتمناه فتاة عصرية حائرة، ومع ذلك فقد كانت النتيجة هي الانتحار، تلك هي (مارلين مونرو)، تقول في رسالة كتبتها قبل انتحارها موجهة إلى فتاة تطلب نصيحتها: احذري كل من يخدعك بالأضواء، إني أتعس امرأة، لم أستطع أن أكون أمّاً، إن الحياة العائلية هي رمز سعادة المرأة، وإن العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة.

وكذلك الممثل الشهير (روك هدسون) الذي نال المال والشهرة يقول بعد أن أصيب بمرض الإيدز: لم أكن أريد أن أتعذب هكذا، ومن خلال هذا المرض اللعين: سرطان العصر.

والأديب الشهير (أرنست همنغواي)حصل على جائزة نوبل وذاعت شهرته الأدبية، ولكنه ظل خمسة عشرعاماً يعاني من القلق والانهيار، وأخيراً أقدم على الانتحار.

والشاعرالإيطالي الشهير (سندرولبينا) أمضى أخريات أيامه في نحيب مستمر، ويأس مرير، وتشتت في الذهن لايطاق كما يقول أصدقاؤه المقربون، وحينما سئل هو نفسه عن سبب انتحار صديقه الشاعر (جوزييه أونفاريتي) -وهو في قمة الشهرة - أجاب بأن (أونفاريتي) لم تخنه الشهرة أوالمال، ولكن خانه ما هوأعظم من ذلك كله، وهوالوصول إلى خالق السموات والأرض والتعرف على الله سبحانه.

أما الأديب (تولستوي) فقد كانت حياته من أنكد وأشقى مايكون، وعاش مع زوجته خمسين عاما يعاني من مرارة الشقاء والخصومة.

ويقول د.(جينادي أوسيبوف) مديرمعهد الدراسات الاجتماعية والسياسية في روسيا: إن ما يزيد على مليون شخص روسي يحاولون الانتحار سنوياً، أي بمعدل شخص من بين كل١٥٠شخص روسي،أما الذين ينجحون في الانتحار فيصل عددهم إلى حوالي ٦٠ألف شخص.

والشاعرة الروسية - التي تعتبر في مقدمة الشعراء الروس المعاصرين- (بيلا أحمدولينا)، تقول: معظم شعراء روسيا الكبار ماتوا منتحرين، (مارينا

سفتيافيا) من كبريات الشاعرات الروسيات ماتت منتحرة، وأنا نفسي أفكر في هذا الموضوع.

والاديب الروائي الياباني الكبير (يوكوبوميشيما) الذي صعد فوق مقر الكلية العسكرية في طوكيو عام ١٩٧٠، وألقى كلمة انفعالية قصيرة في الجنود المندهشين، دعاهم فيها إلى رفض خضوع اليابان لأمريكا، ثم غرز سيفه في بطنه وانتحر، وتبين فيما بعد أنه كان يمارس الشذوذ الجنسي.

ورئيس وزراء فرنسا السابق (بيير بيريغوفوا) الذي انتحر بتاريخ ١/٥/ ١٩٩٣ بعد أن أطلق رصاصة على رأسه.

وقد سقت هذه الأمثلة عن حال هؤلاء ومصيرهم،ليس لقيمتهم الذاتية، ولكن لأن المنهزمين يعتبرونهم قدوة، ويطمحون للوصول إلى ما وصلوا إليه، ولكي يستفيدوا من تجربة هؤلاء، ويبحثوا عن السعادة والاستقرار من مصدر آخر.

ولا شك أن مثل هذه الحالات من القلق والشقاء، والإدمان، والأمراض العصبية والنفسية، ومحاولات الانتحار، والجرائم، تحصل على مستوى واسع في صفوف الناس،وفي شرائح المجتمع المختلفة،وقد تتناقل الأخبار وتروى القصص عن هذه الحالات،وقد تبقى طي الكتمان، أو يطلع عليها المختصون والمراكز الاجتماعية والنفسية والطبية التي تُعنى بمثل هذه الحالات.

فقد نشرت مؤخراً منظمة الصحة العالمية جدولاً إحصائياً عن معدل الوفيات بسبب الانتحار لكل (١٠٠,٠٠٠) من السكان في بعض البلدان فكانت في (برلين الغربية - هنغاريا - تشيكوسلوڤاكيا - النمسا - اليابان - سويسرا - السويد - الولايات المتحدة - مصر) ٣٧ - ٢٥,٤ - ٢٠,٦ - ٢٠,٩- ١٩,٦ - ١٨,٢ - ١٦,٩ - ١٠,٥ - ٠,١ على التوالي .

كما أجرت إحدى الجامعات المصريه بحثاً على طلاب ١٨ كليه، أثبتت فيه أن ٢٠٪ من طلاب الجامعات أصبحوا مدمنين على المخدرات .

وأشارت دراسة للدكتور عمر شاهين، أجريت على (٤٠٠٠) طالب وطالبة في جامعة القاهرة، أن ٧٠ ٪ منهم يعانون من اضطرابات نفسية كالقلق والاكتئاب، و٦٠٪ يدخنون، و ١٠٪ يتعاطون المخدرات.

(وفي بريطانيا زادت نسبة الانتحار في عام ١٩٨٨م بنسبة ٦٪، وبلغ عدد المنتحرين (٤٦٥٧) معظمهم من الشباب، وجاء في دليل (سوشيال ترينيدس)أن عدد مدمني المخدرات ومروجيها في بريطانيا يتقدم باطراد كبير، مما أدى إلى ارتفاع عدد جرائم المخدرات التي تعاملت معها الشرطة وضباط الجمارك إلى أن بلغت عام ١٩٩٠م حوالي (٤٥٠٠٠) ألف جريمة.

وعن الوضع في ألمانيا يقول د.لوثار اشميدت، نائب رئيس لجنة الأمم المتحدة لمقاومة إدمان المخدرات والكحول: إن إدمان المسكرات في ألمانيا مرض عائلي؛ حيث توجد حوالي مليوني زوجة تدمن الخمور، وإن الأرقام الحقيقية لمدمني الخمور والمخدرات أكبر بكثير مما تم الإعلان عنه، وأعتقد أن عدد المدمنين في ألمانيا سيصل قريباً إلى (١٠) ملايين مدمن)[1]

وفي أمريكا يأتي الانتحار في المرتبة الثالثة عشر بين أسباب الموت الستة والثلاثين، ومعظم حالات الانتحار لا تأتي نتيجة اندفاع مفاجىء، بل تكون نتيجة تصميم مسبق، وغالباً ما يكون السبب المباشر فقدان قريب بالموت أو الانفصال، أوالطلاق، أوأزمة عاطفية، أوإصابة الشخص بأحد الأمراض، أو الخواء الروحي، أوالوحدة القاتلة، أوالحصار النفسي بعد تفكك الروابط الأسرية، وفقدان صلات المودة والتراحم بين أفراد العائلة.

وآخر صيحات حضارة الانتحار، انتقاله في بعض الدول من شكله الفردي إلى الشكل الجماعي المنظم، حيث تم تكوين جمعيات لترشد الشباب إلى فن الانتحار. ففي بريطانيا مثلاً تم تكوين جمعية أطلق عليها (خروج) وأصدرت كتاباً يشرح مختلف وسائل الانتحار، كما أصبح للشاذين جنسياً (حركة) تطالب بحقوقهم، وتتولى الاهتمام بتقدم مسيرتهم، وأنشئت جمعية لوطية أطلق عليها (جمعية هيغينز) نسبة إلى أول لوطي بريطاني يموت بمرض الإيدز.

لقد ظن هؤلاء وأمثالهم الكثيرون، أن السعادة تكتسب بالمال، أوالشهرة، أو الشهوة، أوالمتاع المادي، أوالشذوذ, أوتجرع سموم المخدرات والكحول.. ولكنهم في النهاية لم يجدوا إلا السراب الخادع، والقلق المضني، والضياع الكبير،

---

(٢) مجلة الدعوة.العدد: (١٣٦١).

والحيرة الممزقة، والأسقام المدمرة، ولم ير بعضهم حلاً لمشكلاتهم إلا الانتحار.

في بعض مدن الغرب أصبحت الجريمة أمراً مألوفاً ومتوقعاً، وأصبح اتخاذ الاحتياطات الأمنية المشددة واجباً وضرورياً، فالبيوت والمحلات التجارية زودت بأجهزة إنذار ضد اللصوص، والأبواب أوصدت بأجهزة معقدة لإحكام إغلاقها، والناس يخشون من حمل النقود خاصة في الليل، ولا يفتحون بيوتهم لمجهول، ولا أحد يلبس حلياً إلا إذا كان مزيفاً، وسيارات الأجرة عززت بفاصل لايخترقه الرصاص، يحمي السائق من الركاب، والركاب يدفعون له الأجر عبر درج صغير قلاب، ومناظر مفزعة كثيرة لايتسع المجال هنا لتصويرها.

(وأفادت إحصاءات نشرها مكتب التحقيقات الفيدرالي في واشنطن: أن عدد جرائم القتل المرتكبة في الولايات المتحدة في عام ١٩٩٣م ارتفع بنسبة ٣ ٪، وقد تم ارتكاب (٢٤٥٠٠) جريمة قتل في عام ١٩٩٣م)[١]

ومشهد مؤثر من إيطاليا، يعبر عن تفكك الروابط الاجتماعية, وفراغ بعض القلوب من العواطف الإنسانية، وإشرابها بالأنانية والقسوة، وتصخر شغافها الرقيق؛ فهي تغدق على الكلاب المدللة، ولاتلتفت لبني البشر، (ففي مدينة (كازيرتا الجنوبية) في إيطاليا، وقفت امرأة صومالية شابة تصرخ بأعلى صوتها، طالبة المعونة والرحمة ومساعدتها على الولادة، فلم يقف أحد لاستماع ما تريد، وبعد دقائق معدودة، تمددت على رصيف أحد شوارع المدينة الرئيسية لتنجب طفلاً، وبعد مرور أكثر من ٤٠ دقيقة جاءتها سيارة الإسعاف لتنقلها وولدها إلى أحد المستشفيات، وقد عبرت المدينة عن طريق رئيس بلديتها ومجلسها البلدي عن أسفها، وعن العار الذي لحق بها نتيجة تغلظ قلوب الناس، وعدم اقترابهم منها، عملاً بأصول المحبة والتعاون والرأفة بالآخرين، كماعبرت الصحف ومحطات التلفاز عن أسفها لمثل هذه الحوادث التي «تلطخ الجبين بالعار»، كما وصفتها كبريات الصحف الإيطالية «الجمهورية»[٢].

---

(١) جريدة الشرق الأوسط بتاريخ (٣/ ٥/ ١٩٩٤م)

(٢) جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ: (٢٢/ ٢/ ١٩٩٢م).

وهكذا نجد أنه كلما تضخم الجانب المادي في النفوس، وزاد الترف والبذخ والتعقيد والصخب في حياة الناس، وابتعدوا عن حياة الهدوء والبساطة والسكينة، وقتلوا في نفوسهم المشاعر والعواطف الإنسانية، وأفرغوا كنائنهم من المعاني الأدبية والجمالية، وحالوا دون السمو الروحي والأخلاقي،وارتدوا إلى أسفل سافلين، كلما زادت الأمراض النفسية والعصبية، وعم الرعب والفزع، وكثرت حوادث الإجرام والاغتصاب والانتحار، وتكاثرت حالات الشذوذ والإدمان، ولهذا تكثر هذه الحالات والحوادث في المجتمعات الغربية وأذنابها، بالمقارنة بتلك المجتمعات التي ما تزال محتفظة بالنظرة المهتدية الشاملة المتوحدة للإنسان والكون والحياة.

(ونشرت صحيفة (التايمز) مقارنة حول ظاهرة الانتحار بين الروس والمسلمين الذين يعيشون في منطقة القوقاز الشمالية أظهرت أن معدل الانتحار في المنطقة الأخيرة ضئيل جداً، ويكاد يكون معدوماً)[1]

لقد كتب الكثيرون في الغرب والشرق عن حالات الإدمان والانحراف، والجرائم والقلق والأمراض العصبية والنفسية، وصنفوها ووصفوها وصفاً دقيقاً، وأسهبوا في شرح أعراضها ومظاهرها وأسبابها القريبة، وتحدثوا عن الإحصائيات ونسب الحوادث. . . ، ولكن الأهم من ذلك تحديد (الآلية)، وتحري السبب الأصلي، والاهتداء إلى سبيل الحق، وهذا يحتاج إلى حذاقة، وفطنة، ودقة وبحث دؤوب، وجهد وموضوعية.

وجاء الدكتور (ألكسيس كاريل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) ليضع النقاط على الحروف، ويشير إلى مواطن الداء وموقع العلة، فيقول: « إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لاتلا ثمنا، لقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت في خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا »[2]

---

(١) مجلة الدعوة. العدد ١٣٦١.

(٢) الكسيس كاريل. الإنسان ذلك المجهول. صفحة: ٣٨.

وبعد نصف قرن من البحث عن الحقيقة يقول المفكر العالمي الدكتور رجاء جارودي: « إن ثقافة الغرب فقدت المعنى والغاية، فقامت خديعة العلم للعلم والفن للفن، فانتهى إلى العدمية في الأهداف، تقنية غايتها التقنية ذاتها، وعلم يهدف إلى العلم لذاته، وحياة لا تهدف إلى شيء.

وإن التنمية على النمط الغربي تبتر من الإنسان أبعاده الإنسانية، وتفصله عن السمو الروحي، وتقتل فكرة الجماعة، وتضع سداً ما بين العلم والتقنية من ناحية، والحكمة من ناحية أخرى، وهذا النمط الغربي يتمثل في الرأسمالية التي تولد منها الاستعمار والحروب والأزمات الداخلية المميتة، وفي الاشتراكية التي تضطهد شعبها، وتستغل العالم الثالث، وتتسابق إلى التسلح الرهيب والسيطرة.

ويقول أمام الانقلاب المضاعف الذي أصاب النمط الأمريكي والسوفييتي: يمكن للإسلام أن يبعث جذور الأمل في هذا العالم المهدد في بقائه.

ويضيف: إننا نعيش في عالم يتسم بالتجدد الذي يرينا عظمة الخالق في كل شيء جديد) (١)

وكذلك الدكتور (مراد ويلفرد هوفمان) سفيرألمانيا في المغرب، الذي اعتنق الإسلام بعد دراسة وتأمل طويلين، وقام بتأليف عدة كتب منها : (طريق فلسفي إلى الإسلام) و(يوميات مسلم ألماني) و (الإسلام كبديل) الذي بشر فيه بأن القرن الواحد والعشرين هو قرن الإسلام الذي سينبعث في أوروبا .

ويقول (ألن بوم) أستاذ الفكر الاجتماعي بجامعة شيكاغو في كتابه (إغلاق الفكر الأمريكي Closing of the american mind): إنه يريد أن يغوص في أعماق الفوضى المتفشية في الحياة الفكرية والأخلاقية في الجامعات الأمريكية، وإن الأزمة الحقيقية في المجتمع الأمريكي كما يراها الكاتب هي في جوهرها أزمة فكرية

ويقول: لقد أصبح الطلاب متحررين من معظم القيود التي كانت تكبلهم في الماضي، وصارت أسرهم تقدم لهم المعونات والتضحيات دون أن تطالبهم مقابل ذلك بشيء من الطاعة والاحترام، وحتى تعاطي المخدرات وممارسة الجنس التي كانت ممنوعة في الماضي، أصبحت مباحة ومتوافرة بشكل يرضي رغباتهم .

---

(١) من كتاب (مبشرات الإسلام) للدكتور رجاء جارودي.

ويقول: نحن نطالع الأدب الإباحي متسلحين بحرية الكلمة وحق التعبير عن النفس، كما أن المعارضة التي كان يبديها الوالدان والمدرسون ضد السماح للشباب والشابات بالعيش في مكان واحد أو النوم في حجرات تضم الجنسين اختفت من الحياة الأمريكية، ولم يعد لها وجود، فالطالبات لم يعدن يخجلن من إظهار مفاتنهن التي تجتذب الشباب، وتعايش الفتى والفتاة دون زواج أصبح الآن أمراً طبيعياً.

ويقول: إن العلاقات بين الأفراد اليوم، سواء أكانت قائمة على الصداقة أم على الحب، علاقات يشوبها الشك، ويكتنفها عدم الثقة.

ويقول: إن الطلاق له آثار عميقة على الجامعات الأمريكية، لأن عدد الطلاب الذين ينحدرون من أبوين مطلقين في تزايد مستمر، وهؤلاء يحملون معهم مشكلاتهم التي تنعكس على الطلاب الآخرين، وعلى الجو الجامعي بشكل عام، والطلاق في أمريكا هو من أبرز الأدلة على أن الشعب في هذه البلادلم يخلق للتعايش معاً.

ويصف العلاقة بين الطلاب قائلاً: فالطلاب البيض لا يتخذون لهم أصدقاء من الطلاب السود، والآخرون منطوون على أنفسهم، هذا الانفصال ينسحب على الطلاب الأجانب أيضاً.

ويشبه (الثقافة الأمريكية) بالبناء الذي ليس له أساس عميق يرتكز عليه، كما أن الأسوأ من ذلك أن الثقافة الأمريكية لا يخامرها إحساس بسطحيتها وضحالة معرفتها).[1]

إن الفلسفات القديمة والحديثة، والمذاهب الاجتماعية والنفسية، اختلفت في فهم الإنسان، وسر وجوده ومصيره، ولم تتفق على شيء من أمره، باستثناء أمر واحد هو فهم الإنسان فهماً مجزءاً، والفصل بين الروح والجسد، فأبعدت الإنسان عن اليقين الذي يملأ روحه وعقله بالثقة والاطمئنان.

فهنالك فلسفات ومذاهب كالبوذية والهندوكية والرهبانية، احتقرت

---

(١) مجلة العربي. العدد: ٣٥٣ .

الجسد، وكبتت نوازعه وطاقاته الفطرية، ونظرت إليها نظرة تقـزز واستنكار، ولم تعترف بضرورات الإنسان، فنشأ عن ذلك اختلال داخل النفس انسحب على شتى مجالات الحياة.

وهناك نظم وفلسفات ومذاهب أهملت الروح، واهتمت بالجـانب المادي وإشباع الجسد فقط، كما هي الحالة في الحضارة الغربية المعاصرة، وكانت النتيجة الخواء الروحي، والصراعات المريرة في داخل النفس، وما تبعها من انعكاسات ونتائج، وبالتالي شقاء الإنسان بسبب هذا الجهل المزري بحقيقته. ونجد معظم المذاهب تصر على تفسير الكل الإنساني بالجزء الذي تصل إليه، وتقع في خلط معيب. فإذا استعرضنا هذه التفسيرات الجزئية للإنسان نجد أن (دارون) جاء بالتفسير الحيواني، و(فرويد) بالتفسير الجنسي، و(أدلر) فسر الإنسان بالتفوق، و(يونج) بمركب النقص، و(دوركايم) بنزعة القطيع، و(ماركس) بحتمية المادة، و(أينشتاين) بنزعة الخوف، و(التجريبيين) بالنشـاط الجثمـاني، و(الوجـوديين) بالفـردية وتأكيد الذات، وفي مقـدمتهم (جان بول سارتر) الذي جاء أيضاً بأدب الانحلال والضياع.

وقد استطاعت النظرية التي جاء بها (فرويد) أن تأخذ مكاناً بـارزاً في البـداية، على الرغم من تهـافت هذه النظرية ومخالفة كثير من الباحثين مثل: (أدلر) و(يونج) و(برسينال بيلي) لفرويد في نظريته، وحتى في أصولها.

وربما كان السبب وجود قوى تدفعها، محاولة نشرها في شتى الأوساط، ويؤيـد ذلك ما جاء في (بروتوكولات حكماء صهيون): «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا. إن فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، لكي لا يتبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه».

وكشف بعض العلماء عن وجود علاقة جذرية بين نظرية (فرويد) وبين نصوص التلمود، وإن دعوى فرويد: أن الطاقة الجنسية هي العنصر الأساسي المسيطر في الإنسان، وأن كل ما يقوم به الطفل من حركات وأعمال تعبير عن طاقة الجنـس، وأن العصـاب ينجم عن الأمور الجنسـية المكبوتة في الطفـولة،

إنما هو اختلاق يهدف من ورائه إلى تبرير الإباحية تبريراً علمياً تحت ستار (النظرية العلمية)، ومساندة للصهيونية في تنفيذ مخططاتها الشريرة الهادفة إلى استحمار الأمميين، وتلويث المجتمعات وفساد الأخلاق.

وقد أجرى فريق من الأطباء النفسيين دراسات أثبتت فساد رأيه في مسألة الطفولة وغيرها من المسائل التي تفسرالنفس كلها من خلال الجنس، لايتسع المجال لتفصيلها، كما أن عدداً من البلدان نبذت طريقة (فرويد) في العلاج النفسي، وأهملت نظريته وأفكاره.

وقد نشرت مجلة (التايم) الأمريكية مقالاً تقول فيه: «إن علم النفس الحديث، وخاصة مدرسة (فرويد) الجنسية، مدرسة صممها وروّج لها اليهود في العالم أجمع، وفي أمريكا على وجه الخصوص، وليس لها أي مستند علمي، وإن تمسك الناس في الولايات المتحدة بها ليس إلا من قبيل التمسك بالعادات الضارة كالتدخين وشرب الخمور...»[1].

ومن ثم يتضح أن كلاً من التفسير الحيواني والمادي للإنسان، والتفسير الروحاني قد أخذ جانباً من جوانب الإنسان، وأهمل بقية الجوانب، ولم يأخذ في اعتباره حقيقة وحدة النفس الإنسانية، وبالتالي وقعت هذه التفسيرات في الخطأ والانحراف، والبعد عن جادة الصواب، وكان ذلك على حساب الإنسان الذي أصيب بالصراعات النفسية، والاختلال داخل النفس، وما ترتب على ذلك من فساد في الحياة على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والدولي...

فإذا عرفنا الإنسان على حقيقته، وعالجنا جوانبه جميعها على أساس من التوازن - وهذا لايمكن أن يحصل عن طريق الإنسان نفسه لمحدودية قدراته، وجزئية نظراته، ولجهله أمر نفسه ومصيره، وتأثره بالهوى والضعف - عندها يمكن للإنسان أن يتخلص من التخبط والقلق.

وإن أصحاب الفلسفات الذين يوجهون من يرونه حائراً في سر هذه الحياة قائلين: « اعرف نفسك بنفسك » أو « ابحث في الأعماق لوحدك »

---

(١) مجلة التايم . العدد الصادر بتاريخ ١٩/٤/١٩٧٩ م.

يزيدونه حيرة وقلقاً، وإذا فعل فلن يجد إلا ظلاماً دامساً، وإذا نظر فلن يرى إلاخيالاً ممسوخاً، وإذا سار وجد نفسه ـ وقد لايجدها ـ في ضياع مخيف، ومتاهات متشعبة متداخلة؛ لاينقذه منها إلا الاستعانة بالنور الكاشف من القوي الكبير ـ سبحانه ـ خالق هذا الإنسان.